

## ثنائية الوضع والاستعمال عند عبد الرحمن الحاج صالح من خلال كتابه الخطاب والتخاطب

**Bilateralness the code and use Aralric according to AbdErahmaneHadjé Salah Through his book « Al- khitabwa al- takhatub » discourse / and conversation**

أمينة جنحي<sup>1\*</sup>، صلاح الدين زرال<sup>2</sup>

<sup>1</sup>جامعة سطيف2، (الجزائر)، am.djenhi@univ-setif2.dz

<sup>2</sup>جامعة سطيف2، (الجزائر)، salahzaral@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ المراجعة: 2021/09/28

تاريخ الإيداع: 2021/08/12

### ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على جانب من جوانب الأعمال العلمية الحديثة للحاج صالح عبد الرحمن الذي كانت له إضافة متميزة في العربية اللسانية تنظيرا وتطبيقا معيدا فيها إحياء التراث وتجديده في قالب علمي من جهة وآلي أمن جهة أخرى مع محاولة تفسيرية وتبسيطية، لأهم المسائل اللغوية المرتبطة بالوضع والاستعمال وذلك من خلال كتابه الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، محاولين الإجابة عن الإشكال المطروح: ما طبيعة الثنائية اللغوية عند الحاج صالح؟ وهل استطاعت أن تجيب عن الإشكالات المطروحة في ساحة الدراسات اللسانية التداولية المعاصرة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا المنهج الوصفي بدءا بضبط المصطلحات ومفاهيمها، ثم التعرض لأهم القضايا اللغوية التي احتوتها النظرية، متوصلين إلى أن: فكرة ثنائية الوضع والاستعمال عند الحاج صالح قد سلكت استراتيجية وبعدها تداوليا في عرضه للقواعد والمرتكزات الخطابية والتخاطبية. الكلمات المفتاحية: اللغة، الوضع، الاستعمال، الخطاب، التخاطب، التداولية.

**Abstract:** *This Approach aims to study an aspect of the modern Scientific work of Hadje Salah, who had a distinct addition in the Arabic linguistics research, theorizing and applying, renewing the Arab heritage and renewing it in a scientific form and also trying explain and simplify the most important linguistic issues related to the status and of Arabic...*

*The study tries to answer the following questions: What is the nature of bilingualism in the work of al-Hajj Salih? Was it able to answer the problems raised in the arena of contemporary pragmatic linguistic studies? .*

*In order to answer these questions, the combination of the descriptive approach. We started with setting terms and giving their meanings.*

\*المؤلف المراسل.

*We arrived at an idea that has a dual status and use for al-Hajj Salih and that has followed a pragmatic strategy and dimension in his presentation of the rules and pillars of discourse analysis.*

**Keywords:** language, cod, use, discourse, conversation, pragmatics.

تمهيد:

أفرزت المعرفة المعاصرة نظريات ومفاهيم لغوية متباينة في الأسس المعرفية، انبثقت منها تيارات لسانية جديدة، وهذا ما لاحظناه في العقود الأربعة الأخيرة وسط الساحة الأدبية والنقدية واللغوية التي تناولت طرحاً جديداً تجاوز الدراسات السابقة التي عكفت على مقارنة النصوص بعيداً عن سياقاتها الخارجية التي أنتجتها، ونظرت إلى الجملة أو العبارة الكلامية على أنها مجرد كلمات، وهي بهذه الرؤية تجرّدها من وظيفتها، في حين اختلفت نظرة المتبني للطرح الجديد على أنها فعل لغوي وموقف إزاء موقع معين، ونقل لتجارب طرفي العملية الخطابية التواصلية (المتكلم / المتلقي). وكل دراسة صرفت عنايتها واهتماماتها إلى جميع عناصر العملية التواصلية من المخاطب وقصده والمخاطب ومدى استجابته واستيعابه للرسالة والسياق الذي يجري فيه الحدث الكلامي كانت جديرة أن يطلق عليها اسم " التداولية " والتي تعنى في أبسط تعاريفها: "دراسة اللغة أثناء الاستعمال"<sup>1</sup>.

ولمّا كان هذا الاتجاه ليس وليد هذا العصر، بل تمتد جذوره في عمق التراث النحوي والبلاغي العربي، خاصة وأنّ النحاة قد اعتمدوا في تقعيداتهم النحوية على جميع عناصر العملية التواصلية وأولوا اهتماماً بالغاً بشقيها (المخاطب والمخاطب) وشكّل وجودها ضرورة في التعامل مع اللغة وضعا واستعمالاً. ولعلّ هذا التقارب بين الدرس اللساني الحديث والدراسات القديمة كان دافعاً لفتح آفاق هذا البحث، وتبسيط الضوء على تخريجات وتنظيرات علماء العرب المحدثين التي حملت في طياتها أبعاداً تداولية وبعدها عبد الرحمن الحاج صالح تجربة رائدة لخدمة اللغة العربية في جميع مستوياتها ومختلف علومها اللغوية، وعلماً من أعلام الدرس اللساني المعاصر الذي سعى جاهداً إعطاء التراث العربي حلة جديدة في قالب علمي ممنهج ومتميّز ولعلّ أهم ما سنتناوله بالبحث والتفصيل كتابه " الخطاب والتخاطب " في نظرية الوضع والاستعمال العربية مخصصين في ذلك ثنائية الوضع والاستعمال، والإشكال الذي يفرض نفسه في هذا المقام: ما طبيعة الثنائية اللغوية العربية (الوضع والاستعمال) عند عبد الرحمن صالح ؟ وهل استطاعت أن تجيب عن الإشكالات المطروحة في ساحة الدراسات اللسانية المعاصرة وما هي تحليلات النظرية التداولية في هذا الفصل من خلال كتاب الخطاب والتخاطب؟

وإذا افترضنا في هذا الطرح أنّ الوضع والاستعمال ثنائية تضرب جذورها في التراث العربي القديم حيث جعلوا من الوضع كل ما يخص اللفظ الموضوع للدلالة على معنى ومن جهة أخرى ما هو راجع إلى استعمال هذا اللفظ وتعني الأغراض فإنّ عبد الرحمن الحاج صالح أكد على هذه الثنائية المتداخلة، مضيفاً أنّ الوضع يندرج تحت صفات مميزة وسمات محدّدة تجعلها تندرج تحت جنس معين، أمّا الاستعمال فهو كل هذا من جهة، أمّا الفرضية الثانية، فإذا كانت البراغماتية العربية تنظر إلى نظرة استعمال وأداء في إطار العملية التواصلية، وإنّ النظرية الخطابية العربية ليست أقل شأن من هذا، بل هي وجه وقالب ذو طابع علمي جديد فقط خاصة وأنّ

أهم قواعدها ومرتكزاتها العلمية والتحليلية تتوافق والنظرية التداولية العربية القديمة والحديثة، وهذا ما سنلاحظه من خلال هذا البحث.

ولمّا كان هذا البحث يمتاز بالمرونة والانفتاح فإنّ السبب لاختيارنا له هو ما لاحظناه عند باحثين سابقين لنا في الميدان عمومًا وتناولهم للموضوع نفسه خصوصًا إلا أنّ قبوله للتأويل جعله قابلاً للتجديد والبحث من وجهة أخرى، وكمثال عن هذه الدراسات السابقة للموضوع في جانب من جوانبه نجد موضوع:

1. التمظهرات التداولية في البلاغة العربيّة المعاصرة للدكتور راجح بن خوية، مقال منشور في مجلة الأرشيف العربي العلمي سنة 2018.

2. الوضع والاستعمال بين النظرية التحليلية الحديثة والنظريات الغربية – اللسانيات البنوية أنموذجاً، للأستاذة بركان رقيقة.

3. الدرس اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح ونوام تشومسكي دراسة مقارنة للأستاذ شداد عمر، مذكرة تخرج، جامعة الجزائر، 2018 ... الخ.

4. الوضع والاستعمال عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من خلال كتابه "الخطاب والتخاطب" لفتيحة لعلاوي كمقال منشور في مجلة اللسانيات، العدد الأول، المجلد 25، سنة 2018. اذ يعد هذا المقال احد المرتكزات العلمية والمعرفية التي بسطت الرؤية في وصف القضية اللغوية عند الحاج صالح، حيث حاولت الباحثة الدكتورة لفتيحة لعلاوي وصف اللغة والكلام والتميز بينهما من وجهة نظر الحاج صالح، بالإضافة الى تناولها قضية الحروف او الأصول في الوضع والاستعمال، ثم أصناف الأسماء واسم العلم والاسم الخاص عند سيبويه، وكذا المضمّر. وبذلك تعد هذه العناوين العريضة الفارق الواضح في معالجتنا لثنائيتي الوضع والاستعمال خاصة واني تناولت في طرحي: الوضع والاستعمال مفهوماً وتصوراً وخصصت في ذلك الباحثين القدامى العرب، ثم عالجت قضية اللفظ والمعنى، إضافة للخبر والنشاء في ظل نظرية الوضع والاستعمال العربية من خلال كتاب الخطاب والتخاطب للحاج صالح.

وبالتالي فالملاحظ المدقق لهذين الطرحين يجد الثاني الموسوم: ثنائية الوضع والاستعمال... وهو الموضوع وكأنه اضافة وتكملة للمقال السابق لفتيحة لعلاوي الموسوم: الوضع والاستعمال... في تناوله لقضايا تابعة واساسية شملها كتاب الخطاب والتخاطب المعتمد على ميزة الثنائية اللغوية في معالجة الظواهر اللغوية.

وتبقى هذه الدراسات تحتاج للتخصيص في هذه المباحث خاصة وأنّ الثنائية الاصطلاحية للوضع والاستعمال لها آفاق واسعة في الدرس القديم والحديث وهذا ما جعلها أكثر أهميّة وقابلية للبحث من وجهة نظر حديثة.

كما نجد في الدراسات المطّلع عليها، أنّها تهتم إمّا بالكتاب عامة أو تقوم على منهج المقارنة مباشرة، دون التطرق للموضوع بشكل خاص (الوضع والاستعمال) وعليه فالمتتبع للأبحاث العلميّة اللغوية في كتاب عبد الرحمن الحاج صالح في الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية يجد أنّها تتبع استراتيجية تداولية توخى فيها التدرج المنهجي في تناوله للقضايا اللغوية المتعلقة بكل من الوضع والاستعمال في اللغة.

كذلك تعدّ اللسانيات التداولية أو كما سمّاها عبد الرحمن الحاج صالح البراغماتية الغربية أقرب نظرية لسانية للبحث اللغوي العربي القديم والحديث من حيث المرتكزات والقواعد والغاية.  
أولاً: الوضع والاستعمال لدى العرب القدامى:

### 1- المفهوم والتصوّر:

إن الدراسات اللغوية العربية كافة، وكما هو معروف "قامت أساساً لخدمة النص القرآني، والحفاظ عليه، وتمكين العرب وغير العرب، الفصحاء والعامة من قراءته القراءة الصحيحة دون تحريف ولا تزيف"<sup>2</sup>، ومن هذا المنطلق ذهب جمع غفير من العلماء العرب إلى إقامة النحو وتقصيله، معتمدين في ذلك على النص القرآني الذي استنبطوا منه أصول العربية وقوانينها وقواعدها، " فكانت البداية بتحديد الخط العربي وبيانه وذلك من خلال ما عرف عندهم بالنقط، فقد أقاموا نظاماً من نقط الإعجام ونقط الإعراب، فبالأول حدّدوا معاني الحركات ودلالاتها وبالتالي اكتشفوا الإعراب وحدوده"<sup>3</sup>، ثم أخذت هذه الجهود في التوسع، وتجسّد ذلك في اللجوء إلى معيار السّماع وكان شيخ النحاة « أبو عمرو بن العلاء » أول من التجأ إلى البوادي والحواضر لسماع كلام العرب والأخذ به في إثبات أو دحض المسائل اللغوية.

ودامت هذه التحريّات الميدانية الواسعة حوالي القرن ونصف من الزمان، فكان من نتائج ذلك أن تفتنوا إلى أنّ كلام العرب على طول الجزيرة العربية متحدّ في قوانينه مشترك في أصوله وضوابطه، إلا أنّ هذا لم يعمهم من حقيقة وجود بعض الشواذ والتأديت المختلفة لبعض الوحدات اللغوية.

كما كان من نتاج ذلك، السّماع المستمر، التمييز بين الأصل في الكلام وبين ما يعرض له في حال التخاطب، من تغيّرات تمس الجانبين اللفظي والمعنوي، " فالنحاة كانت لهم نظرة تمييزية حاسمة بين اللغة وبين كيفية استعمالها في مقامات التخاطب منذ أقدم العصور"<sup>4</sup>، ويعد «سيبويه» أول نحوي أورد في مؤلفاته لفظة " وضع " " code " « فقد استعمل مادة / و. ض. ع كثيراً، وذلك بصيغتي الفعل والمصدر الميبي المنبثقين من هذه المادة "وضع، يضع، الموضع" ويكون لهذا الأخير غالباً معنى المكان ومن ذلك قوله: " الشعر وضع للغناء والترنم، والكلام الذي لم يوضع للغناء والترنم"<sup>5</sup>، وعليه فمعنى وضع عند سيبويه هو إثبات شيء لشيء أو نفي هذا الإثبات"<sup>6</sup>، ومنه فسيبويه استخدم لفظة "وضع" بمعنى التعليل والاثبات إلا أن مدلولها يختلف عن الوضع اللغوي بمفهومه الحديث الذي يعني اصطلاح الجماعة اللغوية على وضع تسميات لأشياء معيّنة.

ويرى « الحاج صالح » أنّ العرب القدامى لاحظوا « وجود كلام وهو المسموع من فم المتكلم كما ورد، ووجود ما يسميه سيبويه الأصل في الكلام"<sup>7</sup>، فهذا القول يبيّن أن سيبويه يستخدم للدلالة على مفهوم الوضع مصطلحاً آخر، لكن بالمعنى ذاته وهو " الأصل في الكلام " مقابل الكلام، فالأصل في الكلام هو الوضع، أمّا الكلام فهو الاستعمال.

إن هذا التمييز الذي بدأه « سيبويه » وأستاذه « الخليل » كان في محله من حيث المفهوم والتعليل، إلاّ أنّه لم يحظ بالاعتناء الاصطلاحية المثبتة له إلا في نهاية القرن 3 هـ على يد « ابن السراج » وتلاميذه وبعدّ أول نحوي استعمل مصدر الفعل "وضع" أي "الوضع" واعتمدوا في ذلك على مجموعة من المصطلحات التي رافدوا بها مصطلح "الأصل في الكلام" ونذكر منها: " أصل اللغة"، " وضع اللغة"، " حقيقة اللغة" وقد أفاضوا بحديثهم عن هذا المصطلح فأضافوا صيغة الجمع فقالوا: " أوضاع اللغة " في مقابل " أوضاع النحو " فكان الأول بدل على

الدلائل اللغوية والثاني الألفاظ الخاصة التي يستعملها النحاة، وهو ما يقابل في اللغة الأجنبية (code) أي المواضعة.

و أول نحوي عرّف الوضع اللغوي وحدّده فهو « الرضي الاستريادي » في قوله: " المقصود بوضع اللفظ جعله أولاً معنى من المعاني، مع قصد أن يصير متواطئاً عليه بين قوم "8، فالرضي يقصد بالوضع اللغوي: وضع التسميات للمسميات أن جعل للفظ ما لما يحتمله من معنى معين، في ظل اتفاق القوم والجماعة اللغوية عليه، فالوضع على هذا الأساس ليس وليد الفرد الواحد.

أما الجاحظ فقد ابتعد عن لفظة "وضع" وما يتعلق بها من المشتقات والجمع إلى استخدامه للفظ "اصطلاح"، فلم ترد أبداً لفظة وضع في جل ما عرف عن مؤلفاته، وما تجدر الإشارة إليه أنه استخدم لفظة اصطلاح بالمفهوم ذاته "لتواضع"9. في حين المبرد وحسب ما جاء في كتابه "الكامل" وما طرحه الحاج صالح فإنه استخدم في "حقيقة اللغة" في مقابل "الاتساع". أي الوضع والاستعمال.

وهكذا تعددت مسميات الوضع عند النحاة العرب القدامى من وضع وأصل اللغة وأصل الكلام وفي حقيقة اللغة مع المبرّد وما يقابله في ذلك ب" مقابل الاتساع " والزجاجي كذلك استعمل المصطلح ذاته ثم جاءت بعد ذلك تسميات أخرى " كأصل اللغة"، وفي أصل " وضع اللغة " و" حقيقة اللغة " وهذا " بمعنى الوضع الذي قابلوه بالاتساع والمجاز الذي يعني الاستعمال "10.

ولتلخيص هذا نورد بعض المسميات لمصطلح الوضع عند الباحثين العرب القدامى في الجدول الآتي.

الجدول رقم 01: مسميات مصطلح الوضع عند العرب القدامى.

الوضع	
صاحب التسمية	المسمّى اللغوي
سيبويه.	✓ التعليل (اثبات شيء لشيء أو نفيه). ✓ الأصل في الكلام.
ابن السراج وتلاميذه.	✓ أصل اللغة، وضع اللغة، حقيقة اللغة أوضاع اللغة.
الاستريادي.	وضع التسميات لمسميات.
المبرّد	في حقيقة اللغة مقابل الاتساع.

ولم يتوقف تداول هذا المصطلح بين النحاة فحسب، بل نال حظاً من الاهتمام عند المتكلمين والأصوليين والفلاسفة كذلك، والوضع كنتيجة لاتفاق جماعي وقابله في اللغات الأجنبية social و convention institution ويؤيد ذلك من الفلاسفة « أبو نصر الفارابي » في قوله: "... الألفاظ قد استعملت دالة على معانيها للدلالة عليها وضعت منذ أول ما وضعت وتستعمل دالة على معانيها التي وضعت من أول ما وضعت" <sup>11</sup> وبالتالي واستعمالها مجازاً واستعارة هو بعد أن تستعمل دالة على معانيها التي وضعت من أول ما وضعت <sup>11</sup> وبالتالي فالوضع ها هنا قد يكون أولاً وثانياً ويعني بهذا: أن مصطلحات العلوم والضائع وضع ثاني بالنسبة للغة المشتركة التي هي وضع أول «، فاللغة التي يتداولها الناس بينهم والتي يشترك فيها العامة والمثقفين، الصغار والكبار هي ما وضع بالأول وفي البداية، أما المصطلحات العلمية والأدبية التي ولدتها الاختراعات والاكتشافات الحديثة فهي وضع ثاني يجيء في المرتبة الثانية، أما «القاضي عبد الجبار» في كتابه المغني، يرى أن المواضعة كأصل يقابله الاستعمال الحقيقي في الواقع لما تواضعوا عليه، ومن ذلك قوله: " وهو يقابل دائماً بين اللغة لمواضعة وبين الخطاب كاستعمال فعلي للغة، وهو ما يمكن التعبير عليه بالمعادلة الأدبية: لغة / خطاب = مواضعة / استعمال " <sup>12</sup>.

ولا يسعنا هنا إلا أن نقول: إن العرب القدامى باختلاف توجهاتهم الفكرية وتخصصاتهم العلمية شغلوا بهذه الثنائية وهذا التمييز بين ما يخص حقيقة اللغة واستعمالها، و حقيقة الأصل والوضع في أحوال خطابية مختلفة وسياقات متعدّدة ورغم ما عرفته هذه المزاجية بين لفظي الوضع والاستعمال قديماً من تعدد في المسميات إلا أن المفهوم يبقى واحداً، ليأتي عبد الرحمن الحاج صالح باعثة ومؤسساً للدرس العربي القديم ويعرف الوضع والاستعمال العربيّة من خلال كتابه الخطاب والتخاطب.

### 1.1. الوضع: " code ":

لما كانت اللغة في جوهرها نظام مجرد يتكون من القواعد والقوانين الصوتية، الصرفية، النحوية، الدلالية والبلاغية الكامن في عقل الجماعة اللغوية، المشتركة متواضع ومتفق عليها. فسبب الوضع ها هنا كما يحدّده « الإمام فخر الدين الرازي » يكمن في: حاجة الفرد إلى التواصل والتفاهم مع غيره، ذلك أنّ الانسان لا يستطيع أن يلبي كل حاجاته لوحده، وإنما يجب أن تتضافر جهود الجماعة لتحقيق ذلك <sup>13</sup>.

وعرّف الشريف الجرجاني، الوضع في " التعريفات " بأنه عبارة عن: " تخصيص شيء بشيء بحيث متى أطلق، أو أحسن الشيء الأول فهم منه الشيء الثاني، والمراد بالإطلاق: استعمال اللفظ وإرادة المعنى" <sup>14</sup>. ومعنى هذا أنّ الأشياء والمسميات تخصص بأسماء معيّنة للدلالة عليها، حيث إذا ذكر الاسم يفهم منه ذلك الشيء فعند حديثنا مثلاً عن " الشجرة " فإننا نكتفي بذكر المادة الصوتية ش/ ج/ ر/ ة بدل الاتيان بالشجرة في الواقع وهو حسب « عبد الرحمن الحاج صالح » " نظام من الأدلة الموضوعة لفرض التبليغ" <sup>15</sup> فهو يركز على وظيفة اللغة الأساسية المتمثلة في التبليغ والتواصل، فاللغة نسق من الأدلة اللغوية أي دال ومدلول بإصلاح الغربيين المحدثين، ولفظ ومعنى بتعبير الغرب القدامى «فاللغة مجموعة منسجمة من الدوال

والمدلولات ذات بنية عامة ثم بنى جزئية تندرج فيها، وهذا هو الوضع، أي ما يشبه العقل من انسجام وتناسب بين بعض العناصر اللغوية والعلاقات التي تربطها ومن جهة أخرى ما يثبته من تناسب بين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي من لأصول إلى الفروع».

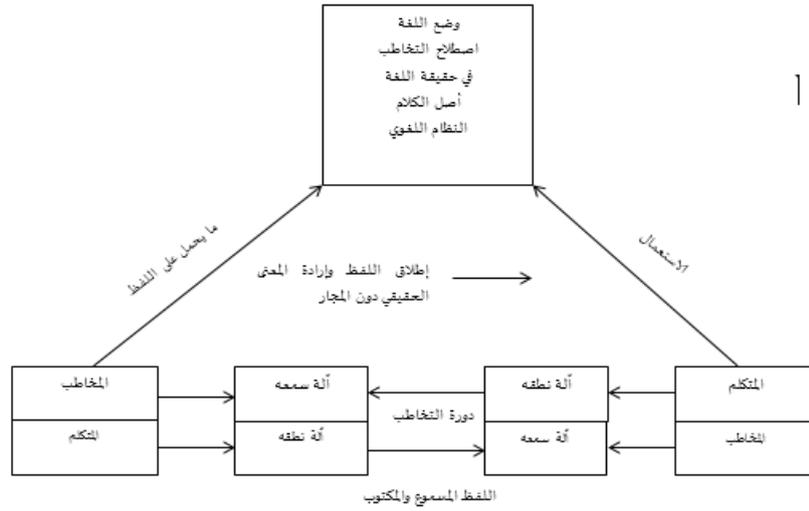
كما يرى الحاج صالح ان لهذه الكلمة "وضع" ومشتقاتها معنا آخر، لا "جعل اللفظ المعين لمعنى"، بل "جعل الكلام على صورة معينة وتركيب معين" وذلك في مثل قوله: "لأنك انما تسالهم على ماوضع عليه المتكلم كلامه". فهذا ما يأتي في الحدود النحوية فهو الوضع النحوي أي التركيب الذي اختاره المتكلم بالنسبة لكلامه بناء على غرض له<sup>16</sup>، والملاحظ هاهنا ان الحاج صالح ربط مفهوم الوضع بالتركيب اللغوي الذي يحدده المتكلم قصد تحقيق عملية التواصل الموضوع فيها. وهذا ما أكده من خلال ربطه للوضع اللغوي بالموضع المبني عليه.

## 2.1. الاستعمال: " Usage "

إنّ اللغة حسب ما ذهب إليه العلماء العرب الأوائل "كالخليل" و"سيبويه" و"ابن جني" وغيرهم، لا تدل على نسق من الوحدات الصوتية والعلامات اللغوية، والقواعد والقوانين المجردة ولا معاني ولا ألفاظ معزولة، بل هي: في الأصل تواصل واستعمال وتداول بين الأفراد الناطقين بها، وهذا للتعبير عن أغراضهم وقصدهم وفق حالات مقامية متباينة وسياقات متعددة ويحدّد في هذا الطرح «الحاج صالح» الاستعمال بأنه: "كيفية إجراء الناطقين للوضع في واضع الخطاب"<sup>17</sup>، ومعناه أن: استثمار الفرد الواحد وتأديته لمختلف القواعد اللغوية للنظام العربي المشترك بين الجماعة الواحدة في أرض الواقع، فالجانب الاستعمالي للغة هو الجانب المحسوس المشاهد المسموع، أي تطابق اللفظ للمعنى، وهو بالتالي ما يوجد للغة في الواقع، أمّا الوضع فلا وجود له ها هنا إلا وكان متوافقا مع ما يسمع ويلفظ فوجوده صوري لأنه نظام اللغة والاستعمال إذن هو الأداء الخاص للغة في أحوال خطابية معينة.

إذن فالاستعمال عند «الحاج صالح» له قوانين خاصة وهي " التي تنبني عليه أحوال التبليغ (...) أمّا الوضع وإن كان هو الرابط الذي يرتبط به المتكلم بالمخاطب إلا أنه قد تصبه عوارض الاستعمال، فقوانين الوضع هي قوانين بنوية بحتة، وقوانين الاستعمال تعود إلى أحوال الإفادة والتبليغ. وفيما يلي مخطط توضيحي للعلاقة بين الوضع والاستعمال لدورة الخطاب والتخاطب العربية:

الشكل رقم 01: دورة التخاطب عند العلماء العرب حسب الحاج صالح.



## ثانيا. اللفظ والمعنى في ظل ثنائية الوضع والاستعمال العربية:

إن اللفظ والمعنى في كل من الوضع والاستعمال مختلف " فللفظ في الوضع صيغة معينة وتُصرف منها إلى صيغ أخرى فرعية وله في حدود ذلك وفي اندماجه في التراكيب، وأمّا المعنى الموضوع له فلا يكون إلا مهمماً كالأجناس ومعاني الحروف والمهمات الأخرى، فهذا حكمها في وضع اللفظة (...) فإذا استعمل اللفظ وما يدل عليه من المعاني دخلا بذلك في عامل آخر، فلا بد حينئذ أن يتحرك ولو للتكيف فقط بما يقتضيه الاستعمال نطقاً ودلالة"<sup>18</sup>.

فاللفظ حسب هذا الطرح لفظان: لفظ في الوضع ولفظ في الاستعمال، وكذلك المعنى: معنى في الوضع ومعنى في الاستعمال فاللفظ والمعنى في الوضع هما الصيغة الأصلية التي وصفت أولاً لهما، أمّا اللفظ والمعنى في الاستعمال فهما جملة التغيرات التي تصيب اللفظ والمعنى في الوضع، وذلك يكون عند تأدية المتكلم لهما في واقع الخطاب أو ما يصطلح عليهما بالتداول أو العملية الخطابية التخاطبية، كما يجدر بنا التنويه إلى أنّ اللفظة حال وضعها تختص بمدلول ومعنى أصل أو أكثر من مدلول وصفي وعند الاستعمال لهذه اللفظة تحصر دلالتها في مفهوم ومعنى واحد بالنسبة للفرد الواحد، وذلك بحسب ما تقتضيه حال المخاطب وقصد المتكلم"<sup>19</sup>.

### 1.2. الاستقامة في اللفظ والمعنى:

يعد "سيبويه" أول لغوي عربي يبين أن اللفظ والمعنى على حدّ سواء يستقيم أو لا يستقيم، فسلامة اللفظ تكون بسلامته من الخطأ واللحن على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي مع إمكانية حصوله في الواقع، ويضيف ويقول: " سلامة اللفظ لا تلزم منه سلامة المعنى وبالعكس"<sup>20</sup>، ومعناه أن اللفظ يمكن أن يكون سليماً حين يكون المعنى غير سليم، وكما يمكن أن يجيء المعنى سليماً واللفظ غير سليم.

فاستقامة اللفظ تدخل في إطار علم النحو واللغة، والسلامة المعنوية في حدّ ذاتها دون اللفظ فهي من مجال المنطق الطبيعي وكل ما يتعلق به من النظم الاجتماعية التي تتجسد في العادات والتقاليد وما يلحق بهما من مسلمات.

### 2.3. أصناف التعابير اللغوية في الاستعمال:

يرى « الحاج صالح » أن الاستعمال الطبيعي للغة يراعي مستويين اثنين هما: التعبير الاسترسالي والتعبير الترتيلي.

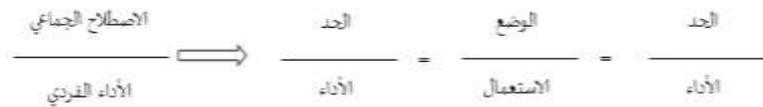
#### أ. التعبير الترتيلي:

يعرّف على أنه: المستوى التعبيري الذي تظهر فيه العناية والاهتمام الكبيرين الذي يوليه المتكلم لعملية التواصل وخاصة فيما يتعلق بما يصدر منه، فهو شديد الحرص على نطقه للحروف، وانتقائه للألفاظ واختياره للتراكيب المناسبة لمقام تلفظه، وذلك من " خلال اظهار الحركات الإعرابية ومدّها في مواضع الوقف وفك الإدغام، وهذه الكثرة والتفريط يؤدي به إلى الوقوع في الخطأ، ويدخل في هذا المستوى ما سمّاه العرب القدامى "بمواقف الحرمة" وهي كما حدّدها عبد الرحمن حاج صالح تتمثل في خطاب الخطيب، وخطاب المذيع ومحاضرات الأساتذة"<sup>21</sup>، هنا حرية المتكلم في القاعدة النحوية، له حرية الرفع والنصب والجر... الخ.

#### ب. التعبير الاسترسالي:

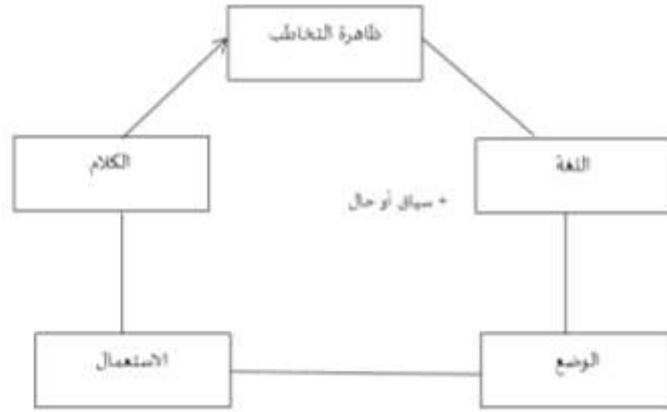
ويقصد به: الجانب الفصيح للغة، يتمثل في التعبير العفوي غير المتكلف الذي يحدث بعيدا عن السياقات الرسمية كالخطابات التي تدور بين الأقارب والأصدقاء، يتميز هذا النوع بكثرة الاختزال والاقتصاد اللغوي في استخدام الوحدات اللغوية من حروف وألفاظ وتراكيب.

ومجمل الأمر ها هنا، أن الوضع لأي لغة كظاهرة اجتماعية من اصطلاح وتواضع الجماعة اللغوية لا الفرد متوارثة عبر الأجيال ثابتة ومجرّدة، أمّا الاستعمال أي الكلام فهو ظاهرة أدائية فردية متغيرة ويمكن صياغة هذا على النحو الآتي"<sup>22</sup>



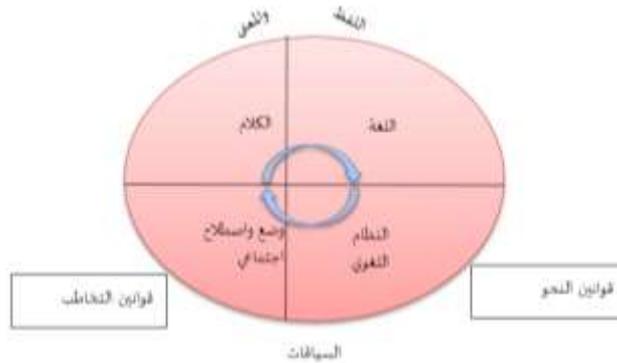
فكل ما هو فوق خط الكسر مترادفات تتمثل فيما تواضعت عليه الجماعة اللغوية وهو اللغة باعتبارها نظام، أمّا ما تحت الكسر أي المقام فهو متعلق بالفرد ومختلف الأداءات العقلية للغة.

الشكل رقم 02: ظاهرة التخاطب عند الحاج صالح.



إن ظاهرة التخاطب من خلال الوضع والاستعمال العربي التي مثلها الحاج صالح فكرة اهتم بها النحاة العرب بالدلائل إذ يقول: " ان اهتمام النحاة الأولين بالدلائل غير اللفظية لا يقلل من اهتمامهم باللغة كوضع من أوضاع المجتمع، إذ هي جديدة بأن تدرس علميا كبنية، أو نظام من الأدلة تدل على معاني إلا أنّ استعمالها هو غير اللغة بل هو الكلام كخطاب"<sup>23</sup>، ومنه نفهم أنّ الحاج صالح أقر بأسبقية النحاة العرب بدراسة اللغة من حيث إنهما: نظام مجرد وكوضع لغوي اجتماعي (أي الوضع والاستعمال) أو (الاصطلاح والأداء) عبر سياقات أو مقامات حالية مختلفة ويحكم كل منها قوانين إما أن تتعلق بالنظام وتسمى قوانين نحوية أو تتعلق بالمتكلم وتسمى قوانين التخاطب.

الشكل رقم 03: الوضع والاستعمال عند الحاج صالح.



### ثالثا: الخبر والإنشاء في نظرية الوضع والاستعمال العربية:

لقد تناول « الحاج صالح » بالذكر والوصف والتحليل مسألة الخبر وأنواع الإنشاء في الفصل الأول من كتاب الخطاب والتخاطب المعنون: معاني الكلام في الوضع والاستعمال وفي اللفظ والمعنى، مؤكدا على أن المعاني الأصلية لكل صيغة من الكلام المتواضع عليها، يعتبرها تغيّرات في مجال الاستعمال، فيقول: " إن المعاني التي سبق أن ذكرناها لكل صيغة من الكلام، هي المعاني التي تخصّ هذه الصيغ في الوضع، فهي الأصل في ذلك. ويصيها تغيير في الاستعمال فيكون مثلا، للخبر في الخطاب عدد كبير من المعاني غير معنى الخبر"<sup>24</sup> لأن الغرض الأصلي للخبر " إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة"<sup>25</sup>.

وعندما تتعدد وجوه الخبر يخرج عن حقيقته الأصلية المتواضع عليها إلى أغراض بلاغية، تفهم من سياق الكلام، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق استعمال تلك الصيغ الكلامية أثناء عملية التخاطب، وهي نفس الفكرة التي أشار إليها الجرجاني في "أسرار البلاغة" في قوله: "أن الخبر أول معاني الكلام وأقدمها، والذي تستند سائر المعاني إليه وتترتب عليه"<sup>26</sup>، كما نجد الحاج صالح يشير إلى وظيفة ووجوه الخبر بحسب منظور النحاة القدامى في قوله: "أما الخبر في أصل الوضع، فهو عنده كما قال ابن فارس: إعلام تقول: أخبرته، أخبره والخبر العلم، وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديقه أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمراً في [ماض من زمان، أو مستقبل، أو دائم حاضر] ثم يكون واجبا وجائزا وممتنعا.

فالواجب قولنا: النار محرقة.

والجائز نحو: لقي زيد عمراً.

والممتنع قولنا: حملت الجبل"<sup>27</sup>، أما مسألة الواجب وغير الواجب عند النحاة، فيطرحها في تساؤل مفاده: "ماهي التراكيب الواجبة وغير الواجبة؟ ويجيبنا الحاج صالح استناداً إلى قول سيبويه: "ولم تكن "ليت" واجبة ولا "لعل" ولا "كان"، لأنها حروف تجعل الفعل غير واجب مثل:

ليت ← تفيد التمني، مثل: ليت الشباب يعود.

لعل ← تفيد الترجي، مثل: لعل الامتحان سهل.

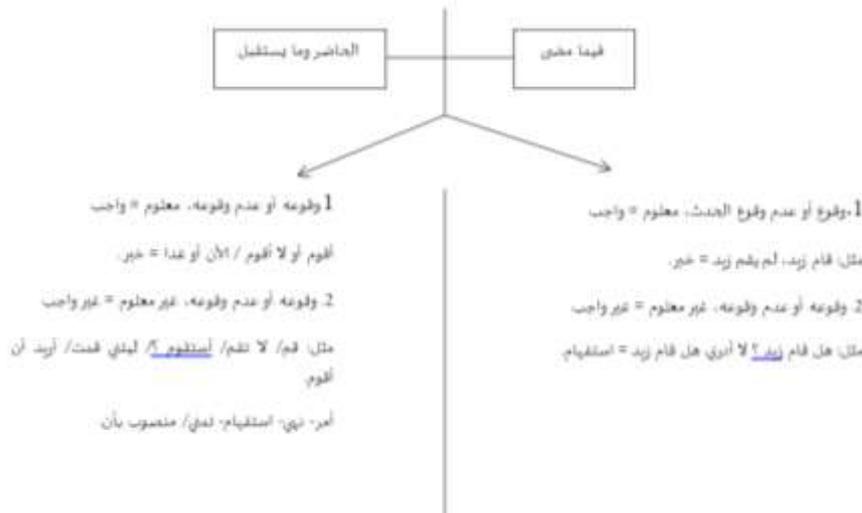
فالفارق بينه العبارتين هو امكانية التحقق فيالمثال الثاني واستحالته في المثال الاول.

وتكون بعض الأفعال غير واجبة إذا جاءت منسوبة إلى المتكلم، مثل ظن: قال:

"أظن غير واقع حديثك"<sup>28</sup>.

وللتمييز بين الخبر والإنشاء من حيث مقياس الواجب وغير الواجب، يمثلها الحاج صالح بالرسم

التوضيحي الآتي:



الشكل رقم 04: المقياس العربي للفرق بين الخبر والإنشاء عند الحاج صالح في ظل ثنائية الوضع والاستعمال العربية.

إذ نجد في موضع آخر الحاج صالح عنده يميّز بين الخبر والإنشاء يؤكد على أنّ لكلّهما أفعال كلاميّة خطابيّة، وهذا يحيلنا إلى تصنيف "أوستين" للأفعال الكلاميّة وحين نتحدث عن الفعل نقصد به الحدوث والوقوع ومن ثم إنجاز الأفعال بمعنى الإنشاء والابتكار، وعليه فالإنشاء ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام المقصود وهذا المعنى للإنشاء هو الذي يقدّمه "أوستين": " فنحن ننجز الأشياء بالكلام، أي نخرجها من حيز العدم إلى الوجود"<sup>29</sup>، من خلال فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول وهي "ليست أفعال ثلاثة يستطيع المتكلم أن يؤديها واحدا تلو الآخر، بل هي جوانب لفعل واحد"<sup>30</sup>.

فكما يرى الحاج صالح أن الكلام الإنشائي هو كذلك خبر مؤكدا ما قاله النحاة بأنّ كل كلام هو إخبار مهما كان المعنى المقصود منه.

#### رابعا: الخاتمة والنتائج:

- تعدّ ثنائية الوضع والاستعمال عند عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه الخطاب والتخاطب من أهمّ القضايا اللغوية العربيّة قديما وحديثا والتي شغلت آفاقا واسعة في الدراسات اللسانية المعاصرة والباحث المحلل لمضامين هذه الثنائية يجد أن الحاج صالح قد سلك فيها بعدا واستراتيجية تداولية في تحليله للخطاب العربيّ تجلّى من خلال مصطلحاته ومفاهيمه وتفسيراته العلميّة التي تتوافق والمرتكز التداولي الغربي مثل: الخطاب، الاستعمال، القصديّة....

ولعل أهمّ النقاط المتوصل لها في هذه الدراسة تتمثل في:

الوضع والاستعمال وجهان لعملة واحدة يقتضي كل منهما نظام لغوي محدد وجماعة لغوية معينة. ان الملاحظ لقصبي الوضع والاستعمال يجد انهما يتقاطعان والبحوث اللغوية الغربية بما يعرف اللغة والكلام فالاولى نظام جماعي مشترك متواضع عليه والثاني اداء فردي متمايز من فرد لآخر.

- اعتناء الحاج صالح عناية كبيرة بالوجه الاستعمالي للغة بعدما أقصته الدراسات اللسانية البنيوية وأعدت الاعتبار له الدراسات التداولية مع "أوستين" و"بنفست" وغيرهم مما جعل هذه الأخيرة النظرية اللسانية الأقرب للعملية الخطابية العربية القديمة والحديثة.

- يتجسد منهج النظرية العربية للحاج صالح في التأكيد والتشديد على التمسك بالتراث العربي الأصيل الذي بني على دراسة اللغة كوسيلة للحفاظ على القرآن الكريم المنزل باللفظ العربي المبين وبالتالي فهو نظام صالح لكل زمان ومكان.

- شرعية التراث العربي اللغوي وقابليته للتجديد والتحديث وهذا ما أكدّه الحاج صالح في بحوثه ودراساته اللغويّة.

- تأثر النظرية الغربية (البراغماتية) بالنظرية الخطابية العربيّة وارجاع الاعتبار للكلام والمتلقي والمقام.

## هوامش وإحالات المقال

- 1- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي، دار الطبعة للنشر، بيروت، 2005، ص42.
- 2- عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012، ص07.
- 3- المصدر نفسه، ص08.
- 4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 5- سيبويه أبوسر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1، 1988، ص65.
- 6- عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص21.
- 7- المصدر نفسه، ص08.
- 8- الاستريادي محمد بن الحسن، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، الناشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص04.
- 9- عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص31.
- 10- المصدر نفسه، ص26.
- 11- المصدر نفسه، ص31.
- 12- المصدر نفسه، ص33.
- 13- عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر، 2014، ص175.
- 14- الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، 1983، ص253.
- 15- عبد الرحمن الحاج صالح، التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، 2009، ص175.
- 16- ينظر الحاج صالح، الخطاب والتخاطب، ص23.
- 17- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 18- عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص111.
- 19- عبد الرحمن الحاج صالح، التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية، ص340.
- 20- عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص114.
- 21- المصدر نفسه، ص117.
- 22- بن التواتياتواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر، الجزائر، 2012، ص01.
- 23- عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص45.
- 24- المصدر نفسه، ص169.
- 25- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تحقيق: محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط 2008، ص4، ص64.
- 26- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد سائر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط 1، 1991، ص366.
- 27- عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص169.
- 28- المصدر نفسه، ص166.
- 29- العياشي أدوراي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 2011، ص73.
- 30- محمود نجلة، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، القاهرة، ط 1، 2006، ص67.

## قائمة المصادر المراجع:

- 1- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تحقيق: محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط 2008، ص4.
- 2- الاستريادي محمد بن الحسن، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، الناشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، (د.ت).
- 3- بن التواتياتواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر، الجزائر، 2012.

- 4- سيبويه أبوسر عمرو بن عثمان بن قنير، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1، 1988.
- 5- الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، تحق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، 1983.
- 6- عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر، 2014.
- 7- عبد الرحمن الحاج صالح، التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، 2009.
- 8- عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012.
- 9- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد سائر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط 1، 1991.
- 10- العياشي أدوراي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2011.
- 11- محمود نجلة، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، القاهرة، ط 1، 2006.
- 12- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي، دار الطبعة للنشر، بيروت، 2005.